الدرس الثاني عشر: كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجني

أخذ الأدب والشعر في الانهيار والتدهور في القرن السابع هجري، بسبب رغبة المسيحية التخلص في الحكم العربي الإسلامي في الأندلس وإخراجه إلى الأبد، فاختلفت الطباع واختلت الأفكار، وقلت العناية بقول الشعر، وفقدان الإحساس العام بالشعر وقيمته، وضياع مكانة الشعراء، فأراد بعض النقاد التشمير على الساعد، ومحاولة تقويم ما اعوج، متسلحا بقدراته البارعة، وباعه الطويل، من باب الإصلاح، بعد أن ساد الجهل، والعجمة، واستهان الناس بأمر الشعر، وفساد أذواقهم. رغم ذلك ظهرت أسماء لامعة تحل الراية وتواصل المسيرة في شتى صنوف المعرفة منهم القرطاجني، وكتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" الذي يعد من ذخائر تراثنا البلاغي والنقدي العربي والتراث الأندلسي خاصة.

1. نبذة عن الكاتب

هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني ولد سنة 608ه، أديب وشاعر وناقد ونحوي وبلاغي، من أهل قرطاجنة شرقي الأندلس، تعلم بها وبمرسية، وأخذ عن علماء غرناطة وإشبيلية، وتتلمذ على يد أبي علي الشلوبين، ثم هاجر إلى مراكش، ومنها إلى تونس، وتوفي بها سنة 684ه، له ديوان شعر.

من مؤلفاته:

أ. قصيدة نحوية
ب. كتاب في العروض والقوافي
ت. ديوان شعر

2. نبذة عن الكتاب

كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، من أهم كتب التراث العربي، وقد ظل في طي النسيان مجهولا، حتى ظهر سنة 1966م. يتألف الكتاب من أربعة أقسام، القسم الأول في الألفاظ، والقسم الثاني المعاني، والقسم الثالث في المباني، والقسم الرابع في الأسلوب، إلا أن كتابه يتميز بمنهج خاص به فلا يسمي الباب والفصول وإنما يسمي المعلم أو المعرف.

3. أهم القضايا في الكتاب

1. عرف القرطاجني الشعر على أنه كلام موزون مقفى، من شأنه أن يحبب على النفس ما قصد تحببه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته، وكل ذلك يقوم بما يقترن من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها". رأى حازم أن الشعر لا يقوم على العروض، فحسب إنما يعتمد على التخييل والمحاكاة كحد للإبداع الفني، والذي لا يقتصر على الشعر فقط وإنما في فن التصوير والموسيقى...وهو ما يعرف بالشعرية، في عصرنا هذا.

وحين تحدث عن العمل الشعري ركز حديثه عن أربعة أطراف تشارك فيه:

أ. الفن في ذاته
ب. العلاقة بين الشاعر وعالمه
ت. طاقات الشاعر وإبداعاته
ث. المتلقي

2.اعتمد حازم في تقسيمه أغراض الشعر مبدأ النظرية الأخلاقية عند أرسطو، حسن وقبيح، وذاته عند أرسطو عندما ميز بين التراجيديا والكوميديا، فإذا كانت التراجيديا عنده تصوير للأخبار وللجوانب السامية من الإنسان، أما الكوميديا فتصوير للأدنياء، تصوير يثير السخرية من تصرفاتهم القبيحة. لذلك قال حازم "ولا يقبل شاعر يحكي كل جنس، بل نطرده وندفع ملاحته وطيبه، ونقبل على شاعرنا الذي يسلك مسلك الجد فقط"، لذلك دعا حازم إلى الابتعاد عن الهزل في المدح، لذلك قسم أغراض الشعر إلى أربعة أغراض: التهاني، التعازي، المدائح، التهاجي.

3. كما تحدث حازم عن قضية المحاكاة، والتي تتمثل في علاقة الشاعر بعالمه، فهو يرى أن الشاعر مثله مثل الرسام والنحات يحاكي العالم الخارجي المحسوسات، مصورا إياه بالكلمات، من أجل أن يحبب الشيء الجميل ويقبح الشيء القبيح. كما أنه وضع شروطا للمحاكاة كي تؤثر في النفوس، فالحرص على ترتيب الكلام وفق ما هو عليه في الواقع، وهنا يظهر دور المبدع في تعديل الواقع أو تجميله أو إكمال ما يمكن أن يكون بهذا الواقع من نقص، وهنا يفسح المجال للشاعر في إعمال عقله وحواسه في خدمة هدفه، من أجل الوصول بالنص إلى غرضه، من تزيين وتقبيح الواقع كي يترك أثرا.

4. كما تحدث عن صحة الطبع، وهي الموهبة الفطرية التي ينطلق بها الشاعر إلى عالم الشعر، وهي وحدها لا تكفي لأن تجعل من صاحبها شاعرا، بل عد ذلك وهما، لأن الطباع يدخلها الفساد واللحن، فلا بد من إصلاح الطباع وتقويمها، من أجل تصحيح المعاني والعبارات.

5. كما تحدث عن ملازمة الشاعر للشعراء، حتى يتعلم منهم قوانين النظم، ويستفيد منهم الدربة في أنحاء التصاريف البلاغية، مثلما لازم الحطيئة زهيرا، وأخذ زهير على أوس بن حجر.

4. <u>الكتاب في ميزان النقد</u>

1. يحوي الكتاب الكثير من المصطلحات الخاصة بالكتاب والتي جعلت الكتاب يتميز بالغموض والتعقيد أحيانا.
2. المصطلحات الفلسفية.
3. قلة الشواهد والأمثال في القضايا التي عالجها.

في الأخير يمكن القول أن حازم القرطاجني أراد من تأليف كتابه إصلاح ما استطاع، ما اختل في عصره وما فسد من أذواق، فقد رد بعض الحلول وأن الشعر لا يعتمد على الطبع فقط وإنما لا بد من التدرب والتعلم على قواعده، لأن الموهبة وحدها لا تكفي. عده علال الغازي بأنه رائد الاتجاه اليوناني في النقد المغربي، وصاحب الفضل في إدخال نظريات أرسطو البلاغية في مضمار النقد المغربي. دون أن يخضع لتلك النظريات بحذافيرها كما قال عنه إحسان عباس.